جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلمية

التطوع الفردي في القرآن الكريم
سقيا موسى عليه السلام للمرأتين أنموذجا

إعداد
د/ عبد العزيز بن صالح الخزيم
كلية الشريعة– قسم القرآن وعلومه
جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع عشر)
(الإصدار الثاني - ديسمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

التطوع الفردي في القرآن الكريم
سقيا موسى (عليه السلام) للمرأتين أنموذجا

عبد العزيز بن صالح الخزيم.
قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: khziem@qu.edu.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالتطوع الفردي من خلال أحد نماذجه في القرآن الكريم، قصة (سقيا موسى)،و لما كانت الأعمال التطوعية من القضايا ذات الأثر في ذلك، فقد حظيت بكثير من العناية في السنوات الأخيرة، وأنشئت لأجلها الجمعيات والمؤسسات، وقامت حولها الكثير من البحوث والدراسات، ولا عجب في ذلك فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مرغبة في التطوع بأعمال البر والإحسان، وفي القرآن الكريم نماذج متعددة للتطوع، فرأيت أن تكون دراستي في هذا البحث لأحد هذه النماذج، وجعلته بعنوان: [التطوع الفردي في القرآن الكريم سقيا موسى(عليه السلام) للمرأتين أنموذجا]، وقد تبين أن بواعث التطوع الفردي من خلال سقيا موسى (عليه السلام) للمرأتين: الاحتساب، وابتغاء الأجر من الله تعالى، والرحمة، والمروءة، والرجولة، والفطرة، والاقتداء بالصالحين، وأن خطوات التطوع الفردي من خلال سقيا موسى(عليه السلام) للمرأتين أربع: الأولى: إيجاد الحالة. الثانية: التحقق. الثالثة: المبادرة. الرابعة: التولي، وأن آثار التطوع الفردي من خلال سقيا موسى (عليه السلام) للمرأتين: الجزاء، والثناء الحسن، والتعاقد على العمل وينبغي أن يكون التعامل مع المتطوع حيث يُقَدَّم على غيره في عقود العمل، أن يكون التعاقد معه على عمل مماثل لما تطوع به أو من جنسه، ويكون العمل سهلا لا مشقة فيه، ويلقى من صاحب العمل صلاح المعاملة وحسن الخلق، و تظهر أهمية البحث في أهمية التطوع وآثاره في حياة الأفراد والمجتمعات، والحاجة إلى بيان أحد نماذجه من القرآن الكريم ، ويتناول

البحث بواعث التطوع الفردي، وخطواته، وآثاره من خلال القصة، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي في استخراج البواعث والخطوات والآثار، ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة تحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التطوع – الفردي – سقيا – موسى – للمرأتين.

Individual volunteering in the Holy Quran Saida Musa Peace be upon him For the two women as a model

Abdul Aziz bin Saleh Al -Khazim
College of Sharia - Department of the Qur'an and its Sciences
Al -Qassim University - Saudi Arabia
Email: khziem@qu.edu.sa

Abstract:
This research aims to introduce individual volunteering through one of its models in the Holy Quran, Story (Soya Musa), and since volunteerism is an issue that has an impact on this, It has received a lot of attention in recent years, for which associations and institutions have been established, The texts of the book and the Year are willing to volunteer acts of charity. In the Holy Koran, I saw my study in this research as one of these models, and I made it entitled: [Individual volunteerism in the Holy Quran Sokya Musa (peace be upon him) for the two women is a model]. The motives of individual volunteerism have been shown through Sokya Musa (peace be upon him) for the two women: Reckoning, in order to pay God Almighty, mercy, innocence, manhood, innocence, and imitating the righteous, and that the steps of individual volunteering through the sovereignty of Moses (peace be upon him) for the four women: first: finding the situation. Second: Verification. Third: Initiative. Fourth: Take over, and that the effects of individual volunteering through Soqia Musa (peace be upon him) for the two women: Penalties, good praise, contracting for work should be dealing with the volunteer where others are offered in the employment contracts to be contracted for work similar to

what he or she has volunteered for or of his or her own sex, Work is easy and difficult, and the employer receives good treatment and good creativity, The importance of research shows the importance of volunteerism and its implications for the lives of individuals and communities and the need to describe one of its models from the Holy Quran, and the research addresses the motives of individual volunteering and his steps, his effects through the story, and in this research relied on the analytical curriculum, The extractive approach to extracting motivations, steps and effects, the research consists of an introduction, a prelude, four investigations and a conclusion containing the most important findings and recommendation.

Keywords: Volunteering - Individual - Sokya - Moses - For Women.

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتبيانا لكل شيء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

كانت الحاجة ماسة للنهل من معين هذا الكتاب العزيز، من أجل صلاح الأمة واستقامتها ورفعتها، ولما كانت الأعمال التطوعية من القضايا ذات الأثر في ذلك، حظيت بكثير من العناية في السنوات الأخيرة وأنشئت لأجلها الجمعيات والمؤسسات، وقامت حولها الكثير من البحوث والدراسات، ولا عجب في ذلك فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مرغبة في التطوع بأعمال البر والإحسان، وفي القرآن الكريم نماذج متعددة للتطوع، فرأيت أن تكون دراستي في هذا البحث لأحد هذه النماذج، وجعلته بعنوان:

[التطوع الفردي في القرآن الكريم سقيا موسى عليه السلام للمرأتين أنموذجا].

أهميـة البحـث: تطهر أهمية البحث من أهمية التطوع وآثاره في حياة الأفراد والمجتمعات، والحاجة إلى بيان أحد نماذجه من القرآن الكريم.

مشكلة البحث: هذا البحث هو إجابة لسؤال محدد ألا وهو: ما التطوع الفردي في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين؟ وتحت هذا السؤال عدة أسئلة:

- ما بواعث التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين؟؟
- ما خطوات التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين؟؟
- ما آثار التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعريف بالتطوع الفردي من خلال أحد نماذجه في القرآن الكريم وهو قصة سقيا موسى عليه السلام للمرأتين؟.

حـدود البحـث: يقتصر البحث على دراسة الآيات في سقيا موسى عليه السلام

للمرأتين في سورة القصص من الآية (٢٣) حتى الآية (٢٨).

الدراسات السابقة: الدراسات في التطوع والعمل التطوعي كثيرة، وقد وقفت – بعد البحث في أوعية المعلومات وقواعدها وفهارس المكتبات – على بحث واحد يتناول التطوع في القرآن الكريم، بعنوان: العمل التطوعي في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور عبد الله بن سالم بن يسلم بافرج، منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد التاسع عشر، السنة الثانية عشرة. وقد ذكر قصة سقيا موسى عليه السلام للمرأتين باختصار كنموذج للمتطوعين من خلال القرآن الكريم، ولم يذكر أو يشر للتطوع الفردي في القرآن الكريم.

وبهذا يظهر أنه لا يوجد بحث يتناول التطوع الفردي في القرآن الكريم سقيا موسى عليه السلام للمرأتين أنموذجا.

منهج البحث وإجراءاته: يقوم البحث على المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي في استخراج البواعث والخطوات والآثار. وفق الإجراءات التالية:

١. استخرجت البواعث والخطوات والآثار من كلام أشهر المفسرين.
٢. اعتمدت كتب التفسير مع الاستعانة بغيرها إذا لزم الأمر.
٣. أعرضت عن نقل الإسرائيليات الواردة في القصة.
٤. اتبعت الإجراءات العامة المعمول بها في البحث العلمي في العزو، والتخريج، والتعريف بالغريب...

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه: التعريف بالتطوع الفردي.

المبحث الأول: الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين مناسبتها لما قبلها، وتفسيرها إجمالا.

المطلب الأول: مناسبة الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين لما قبلها.

المطلب الثاني: تفسير الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين إجمالا.

المبحث الثاني: بواعث التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاحتساب وابتغاء الأجر من الله تعالى.

المطلب الثاني: الرحمة.

المطلب الثالث: المروءة.

المطلب الرابع: الرجولة.

المطلب الخامس: الفطرة.

المطلب السادس: الاقتداء بالصالحين.

المبحث الثالث: خطوات التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إيجاد الحالة.

المطلب الثاني: التحقق.

المطلب الثالث: المبادرة.

المطلب الرابع: التولي.

المبحث الرابع: آثار التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجزاء.

المطلب الثاني: الثناء الحسن.

المطلب الثالث: التعاقد على العمل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين

تمهيد: التعريف بالتطوع الفردي:

أولا: التطوع في اللغة: مشتق من الطَّوْع، يقال: طاع يَطُوع طَوْعاً فهو طائع. والطَّوْعُ: نقيض الكَرْه، تقول: لَتَفْعَلَنَّهُ طوعاً أو كَرْهاً. طائعاً أو كارِهاً، وطاع له إذا انقاد له[١]، والعرب تقول: تطاوع لهذا الأمر حتى تستطيعه. ثم يقولون: تطوّعْ، أي تكلف استطاعته، وأما قولهم في التبرع بالشيء: قد تطوع به، فهو من الباب، لكنه لم يلزمه، لكنه انقاد مع خير أحب أن يفعله. ولا يقال هذا إلا في باب الخير والبر. وقوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ له نفسُهُ قتلَ أخيهِ ﴾ [المائدة:٣٠]. معناه رخَّصت وسهَّلت. والمُطَّوِّعَةُ: الذين يَتَطَوَّعونَ بالجهاد، ومنه قوله تعالى: ﴿ الذين يلْمِزونَ المطَّوِّعينَ ﴾ [التوبة:٧٩]،، وأصله المُتَطَوِّعينَ فأدغم[٢]. وقوله: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ [البقرة:١٨٤]. أي: طَوَّع نفسه ولَيَّنها ففعل من غير أن يطلب إليه زيادةً في الطاعة[٣].

قال ابن فارس:" الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه يطوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه "[٤].

والمطاوعة: الموافقة، والنحويون ربما سموا الفعل اللازم مطاوعا. ورجل مطواع أي مطيع. وفلان حسن الطواعية لك مثل الثمانية أي حسن الطاعة لك. ولسانه لا يطوع بكذا أي لا يتابعه[٥]. وصلاة التطوع النافلة، وكل متنفل خير متطوع[٦].

---

(١) ينظر: العين (٢٠٩/٢)

(٢) ينظر: الصحاح (١٢٥٥/٣) مادة (طوع)، مقاييس اللغة (٤٣١/٣) مادة (طوع)

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل (١٣٢٨/٣)

(٤) مقاييس اللغة (٤٣١/٣) مادة (طوع)

(٥) لسان العرب (٢٤١/٨) مادة (طوع)

(٦) القاموس المحيط (٧٤٤/١) مادة (طاع)

ثانيا: التطوع في الاصطلاح: عرفه العلماء بعدة تعريفات ومنها:

ما قاله الخليل بن أحمد:" ما تبرّعت به ممّا لا يلزمك فريضته "[١].

وذكر الراغب أن التطوع:" التبرع بما لا يلزم كالتنفل "[٢].

وقال الجرجاني:" اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجبات "[٣].

والذهن ينصرف إلى التطوع الاجتماعي عند إطلاق مصطلح التطوع بنوعيه الفردي والجماعي، ويمكن أن يُعرف التطوع الفردي بأنه: كل ما يبذله الفرد بهدف تقديم الخدمات الاجتماعية، أو الإغاثية، أو التربوية، أو التعليمية، بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذل علما، أو مالا، أو وقتا، أو جهدا بدنيا، أو رأيا، أو غيرها مما يملكه الفرد أو يحتاجه الآخرون[٤].

وعُرِّف أيضا بأنه: جهد مالي أو جسدي أو فكري يبذله شخص اختيارًا أي بكامل إرادته، بهدف جلب المصالح للغير أو درء المفاسد عنه، دون انتظار أي مقابل مادي أو معنوي كمقابل لجهوده المبذولة، ولكن ابتغاء مرضاة الله تعالى[٥].

ويعْرف التطوع الفردي بالتطوع التلقائي؛ لأنه غالبا ما يكون فردي الأداء عفوي التوجه، تلقائيا – أي: وليد ساعته – ومن نماذجه في القرآن الكريم: كفالة زكريا لمريم – عليهما السلام – وتطوع يوسف عليه السلام بتفسير رؤيا الملك دون أن يشترط لنفسه شيئا، وتطوع موسى عليه السلام بمساعدة الضعيف ونصرة المظلوم في قصة الرجلين المقتتلين، وتطوعه عليه السلام بالسقيا للفتاتين[٦].

---

(١) العين (٢/٢١٠)

(٢) المفردات (٥٣٠)

(٣) التعريفات (٦١)

(٤) التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية د. عبد اللطيف الرباح (٥)

(٥) العمل التطوعي من منظور إسلامي د. مصطفى بوهبوه (١٢)

(٦) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (٩/٢٢٦-٢٣٠)

المبحث الأول: الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين مناسبتها لما قبلها، وتفسيرها إجمالا.

المطلب الأول: مناسبة الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين لما قبلها:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) ﴾ [القصص:٢٣-٢٨].

أعرض أكثر المفسرين عن ذكر المناسبة، ومن المناسبات التي وقفت عليها قول البقاعي:" ولما كانت عنايته بالله أتم لما له من عظيم المراقبة، قال مقدماً له: ﴿ رَبِّي ﴾ أي المحسن إليّ بعظيم التربية في الأمور المهلكة ﴿ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ ﴾ أي عدل ووسط ﴿ السَّبِيلِ ﴾ وهو الطريق الذي يطلعه عليها من غير اعوجاج.

ولما كان التقدير: فوصل إلى المدينة، بنى عليه قوله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ﴾ أي حضر موسى – عليه الصلاة والسلام –حضور من يشرب ﴿ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾

أي الذي يستقي منها الرعاء "[1].

وقال الصابوني:" المنَاسَبَة: لا تزال الآيات تتحدث عن قصة موسى، وقد تناولت الآيات السابقة قصة ولادته وإرضاعه، وتربيته في بيت فرعون إلى أن شبَّ وبلغ سنَّ الرشد والكمال، ثم قتله للفرعوني، وتتحدث الآيات هنا عن هجرته إلى أرض مدين وتزوجه بابنة شعيب[2]، ثم عودته إلى مصر، ونزول النبوة عليه، وهلاك فرعون على يديه "[3].

وقال الزحيلي:" المناسبة: بعد أن تمالأ فرعون وقومه على قتل موسى، وأخبره مؤمن من آل فرعون بما عزموا عليه، ونصحه بالخروج من مصر، فخرج متجها إلى أرض مدين، ماشيا، برعاية الله وهدايته الطريق، للنسب الذي بين الإسرائيليين وبين أهل مدين، لأن مدين من ولد إبراهيم، والإسرائيليون من أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وهناك تزوج بابنة شعيب عليه السلام، ثم عاد إلى مصر بعد أن أوتي النبوة في الطريق"[4].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٤/١٤)

(٢) اختلف المفسرون في والد المرأتين والصحيح أنه ليس بشعيب عليه السلام وإن قال به كثيرون، قال الطبري بعد أن نقل القول إنه شعيب عليه السلام في جامع البيان (٢٢٤/١٨):" وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب ".

وقال ابن تيمية في جامع الرسائل (٦٣/١):" وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب فلا يلتفت إلى قوله فإنه ينقل الغث والسمين، فمن جزم بأنه شعيب النبي فقد قال ما ليس له به علم وما لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة = ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري، مع مخالفته أيضا لأهل الكتابين، فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي، فإن ما في التوراة التي عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه يثرون وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة ". وينظر: تفسير ابن كثير (٢٢٨/٦، ٢٢٩)

(٣) صفوة التفاسير (٣٩٥/٢)

(٤) التفسير المنير (٨٢/٢٠، ٨٣)

ويمكن أن يقال إن المناسبة ظاهرة حيث إن موسى عليه السلام لما دعا ربه أن يهديه وسط الطريق إلى مدين استجاب الله دعاءه فوصل إلى مدين، وكان أول ذلك أنه وجد جماعة من الناس من أهل مدين يستقون الماء.

ويمكن أن يقال أيضا في المناسبة إن موسى عليه السلام لما خرج خائفا من فرعون وبطشه أمَّنه الله من خوفه بأن ورد ماء مدين ثم سقى للمرأتين مما تسبب أن يلتقي بأبيهما ويحصل له الأمن من الخوف والعمل والزواج . والله أعلم.

المطلب الثاني: تفسير الآيات في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين إجمالا.

يقول تعالى ذكره: ولما وصل موسى عليه السلام ماء مدين، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وجد عليه جماعة من الناس يسقون نعمهم ومواشيهم، ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء امرأتين تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وتخلو لهم البئر. قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس، هلا تسقونها مع مواشي الناس؟ قالت المرأتان لموسى: لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم، لأنا امرأتان لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض. وأبونا لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته، فليس فينا قوة نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء. فسقى لهما ماشيتهما، غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، ثم تولى إلى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع فقال وهو في جهد شديد مسترزقا ربه: رب إني لما أنزلت إلي من طعام لمحتاج. كان يطلب الطعام لجوعه، وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلما رجعت المرأتان إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان، قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي. فجاءت موسى تمشي على استحياء من موسى، قد سترت وجهها بثوبها قالت: إن أبي يدعوك ليثيبك أجر ما سقيت لنا. فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقص عليه قصصه أجمع من قتله القبطي وقصد

فرعون قتله قال له أبوها: لا تخف فقد نجوت من فرعون وقومه، لأنه لا سلطان له بأرضنا. قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أتاه موسى، استأجره ليرعى عليك ماشيتك إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه. قال أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى: إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن تثيبني من تزويجها رعي ماشيتي ثماني سنين، فإن أتممت الثماني سنين عشرا التي شرطتها عليك بإنكاحي إياك إحدى ابنتي، فجعلتها عشر سنين، فإحسان من عندك وتبرع، وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي وما أريد أن أشق عليك باشتراط الثماني الحجج عشرا عليك، وما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في الوفاء بما قلت لك. جعل الأعوام الثمانية شرطا، ووكل العامين إلى مروءة موسى. قال موسى لأبي المرأتين هذا الذي قلت من أنك تزوجني إحدى ابنتيك على أن آجرك ثماني سنين واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه. أي الأجلين من الثماني سنين والعشر سنين فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك فليس لك أن تعتدي علي فتطالبني بأكثر منه، والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول، شهيد وحفيظ ثم إن موسى عليه السلام وفى له العشر[1].

(١) ينظر: جامع البيان (٢٠٦/١٨-٢٣٢)، تفسير البغوي (١٩٩/٦-٢٠٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢-١١٣)، تفسير السعدي (٦١٤)

المبحث الثاني: بواعث[١] التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين:

المطلب الأول: الاحتساب وابتغاء الأجر من الله تعالى:

أعمال البر ومنها التطوع الفردي مما يجب أن يكون الباعث الأساس عليها ابتغاء بها وجه الله تعالى، وأن يكون المتطوع محتسبا الأجر من الله تعالى.

قال ابن الأثير:" الاحتساب في الأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها "[٢].

وقد ذكر عدد من المفسرين أن الباعث لموسى عليه السلام على سقيا الماء للمرأتين الاحتساب والرغبة في الخير وقصد وجه الله تعالى.

قال الزمخشري:" كفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوّة قلبه وقوّة ساعده...على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصه "[٣].

وقال الرازي:" سقى أغنامهما تقربا إلى الله تعالى "[٤].

وقال السعدي:" غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى "[٥].

---

(١) البواعث: جمع باعث وهو الحامل، يقال: بعثه على الشيء: أي حمله على فعله. وهو بمعنى السبب والداعي والدافع. ينظر: لسان العرب (١١٦/٢) مادة (بعث) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٢٢/١) مادة (ب ع ث)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٢/١)

(٣) الكشاف (٤٠١/٣)، وينظر: تفسير النسفي (٦٣٦/٢)، البحر المحيط (٢٩٧/٨)، السراج المنير (٩١/٣)

(٤) التفسير الكبير (٥٩٠/٢٤)

(٥) تفسير السعدي (٦١٤)

ولا يمكن أن يظن بنبي الله تعالى أي مقصد آخر، ومع أنه عليه السلام كان في حال من الجهد الشديد والجوع إلا أنه لم يفوّت فرصة الفوز بالأجر فتطوع بالسقيا باذلا للخير والإحسان، كيف وقد وصفه ربه وأثنى عليه في قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا(٥١) ﴾ [مريم:٥١].

قال البغوي:" قوله ﷻ: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله ﷻ. وقرأ أهل الكوفة " مخلَصا " بفتح اللام أي: مختارا اختاره الله ﷻ. وقيل: أخلصه الله من الدنس "[1].

وقال البيضاوي:" موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء، أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه "[2].

ومع ظهور وسائل الاتصال وشيوع التصوير فإن خطر إرادة غير وجه الله تعالى في أعمال التطوع شديد، ولذا يجب الحذر من أن يقصد المتطوع الثناء أو الشهرة أو غيرهما من المقاصد التي تذهب بأجره، وليجاهد نفسه حتى لا يكون من الخاسرين.

وقد ذكر ابن رجب أن من أقسام العمل لغير الله أن يكون رياء محضا، بحيث لا يراد به سوى مراءات المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) ﴾ [النساء: ١٤٢]. وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء في قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى

(١) تفسير البغوي (٢٣٦/٥)

(٢) تفسير البيضاوي (١٣/٤)

نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة(١).

المطلب الثاني: الرحمة:

الرحمة بالضعفاء خلق عظيم من اخلاق الأنبياء – عليهم السلام – وقد ظهر من القصة ضعف المرأتين؛ حيث خرجتا للسقيا ضرورة إذ لا راعي يسقي لهما، واعتذرتا لموسى عليه السلام بأن أباهما شيخ كبير لا يقوى على تحمل السقي، ولا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه، وأنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء على الماء وأن عادتهما التأتي حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى، وحينئذ تردان(٢). فما كان منه عليه السلام إلا ان سقى لهما وقضى حاجتهما.

وقد ذكر بعض المفسرين هذا الباعث، ومنهم الزمخشري حيث قال:" وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمّة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم ...رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي "(٣).

وقال الخازن:" فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما "(٤).

وقال ابن جزي:" ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ أي أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما "(٥).

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (٧٩/١)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢٨٣/٤)

(٣) الكشاف (٤٠١/٣)

(٤) تفسير الخازن (٣٦١/٣)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٦٩/١٣)، البحر المحيط (٢٩٧/٨)، السراج المنير = (٩١/٣)

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٢/٢)

والرحمة خلق يبعث على الإحسان بالخلق كما عرَّفها بذلك الكفوي فقال:" الرحمة: هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان "(١).

ومتى ما اتصف المتطوع بخلق الرحمة فإنه لن يقف على نوع واحد من أنواع الإحسان بل سيتاح له أنواع كثيرة، كما أن هذا الخلق سيكون باعثه إلى لتطوع والمداومة عليه.

وذلك أن الرّحمة في الإسلام عامّة وشاملة لا تخصّ أحدا دون أحد، ولا نوعا دون نوع، وهي دليل رقّة القلب وسموّ النّفس، ولا يستحقّ رحمة الله تعالى إلّا الرّاحمون الموفّقون، كما أن الرحمة تثمر محبّة الله تعالى ومحبّة النّاس، وفي إشاعة الرّحمة بين أفراد المجتمع رفع من مستواه وجمع لشمله(٢).

روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(من لا يرحم لا يرحم)(٣).

ذكر ابن بطال أن في هذا الحديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسؤول عما استُرعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا

(١) الكليات (٤٧١)

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢١٠٢/٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ح (٥٩٩٧)، وباب رحمة الناس والبهائم ح (٦٠١٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ح (٢٣١٩)

ترى أن الذى سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له[١].

المطلب الثالث: المروءة:

خلق المروءة كان باعثا من بواعث موسى عليه السلام على السقيا للمرأتين، فإن من يتصف بالمروءة لا يمكن أن يتأخر في نصرة الضعيف وإعانته.

قال ابن عاشور:" ومعنى ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾: أنه سقى ما جئن ليسقينه لأجلهما، فاللام للأجل، أي لا يدفعه لذلك إلا هما، أي رأفة بهما وغوثا لهما. وذلك من قوة مروءته أن اقتحم ذلك العمل الشاق على ما هو عليه من الإعياء عند الوصول "[٢].

ومتى غاب التخلق بالمروءة في مجتمع غلب فيه الأقوياء على الضعفاء، كما وقع من الرعاة الجفاة الذين لم يمدوا يد العون للمرأتين الضعيفتين.

" قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء فاين المروءة فيه فقال في قولة تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف:١٩٩]. ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الاخلاق فجمع في قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من اخلاق المطيعين، ودخل في قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، ودخل في قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الحض على التخلق بالحلم، والاعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة، وقال الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري (٢١٩/٩)

(٢) التحرير والتنوير (١٠١/٢٠)

الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص:٧٧]. وفيها عين المروءة وحقيقتها"[١].

قال أبو حاتم:" والواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه، حتى لا يثلم مروءته؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع في القهقري، إلى مراتب العوام وأوباش الناس "[٢].

وقد بيَّن ابن القيم حقيقة المروءة أنها اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم، والشيطان الرجيم. لأن في النفس ثلاثة دواع متجاذبة: داع يدعوها إلى الإنصاف بأخلاق الشيطان: من الكبر، والحسد، والعلو، والبغي، والشر، والأذى، والفساد، والغش. وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان. وهو داعي الشهوة. وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان، والنصح، والبر، والعلم، والطاعة.

فحقيقة المروءة: بغض ذينك الداعيين، وإجابة الداعي الثالث. وقلة المروءة وعدمها: هو الاسترسال مع ذينك الداعيين، والتوجه لدعوتهما أين كانت.

فالإنسانية، والمروءة، والفتوة: كلها في عصيان الداعيين، وإجابة الداعي الثالث. كما قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة. وخلق البهائم شهوة بلا عقول. وخلق ابن آدم، وركب فيه العقل والشهوة. فمن غلب عقله شهوته: التحق بالملائكة. ومن غلبت شهوته عقله: التحق بالبهائم.

ولهذا قيل في حد المروءة: إنها غلبة العقل للشهوة.

وقال الفقهاء في حدها: هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه.

وقيل: المروءة استعمال كل خلق حسن. واجتناب كل خلق قبيح.

---

(١) المروءة لابن المرزبان (١٣٣)

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٣٤)

وحقيقة المروءة تجنب الدنايا والرذائل، من الأقوال، والأخلاق، والأعمال.

ثم ذكر أن المروءة في الإحسان تعجيله وتيسيره، وتوفيره، وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه. فهذه مروءة البذل(١).

ومتى ما اتصف المتطوع بالمروءة اكتسب مكارم الأخلاق، وكان عونا للأهل والإخوان والجيران، كما أنها تدعوه إلى الأنفة من الخمول والكسل، وتضفي عليه عزّا وعلى المجتمع ترابطا(٢).

المطلب الرابع: الرجولة:

من بواعث موسى عليه السلام على السقيا للمرأتين اتصافه بالرجولة، فإن الرجل حقا يسارع إلى تفريج كربة المكروبين، وإعانة من يحتاج إلى العون، وينتصر للضعيف، ويقضي حاجة المحتاج.

قال أبو هلال العسكري:" قولنا رجل يفيد القوة على الأعمال ولهذا يقال في مدح الإنسان إنه رجل "(٣).

والرجولة في الاستعمال القرآني هي اتصاف المرء بما يتصف به الرجل عادة من الإيمان، والفوة، والشدة، والسعي، والجلادة، ومكارم الأخلاق، والنجدة، والشهامة، وغيرها من الصفات المشابهة(٤).

والرجل لا تشغله العوارض عن ذكر الله والعمل للآخرة، مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) ﴾ [النور:٣٧]، فالرجل الحق على ذلك هو من يتحمل الأعباء وينهض بها ويصدق العهد ولا تشغله سفاسف الأمور عن

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٣٣٤،٣٣٥)

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/٣٣٨٦)

(٣) الفروق اللغوية (١/٢٧٧)

(٤) موسوعة التفسير الموضوعي (١٦/٤٠)

معاليها[١].

قال السعدي:" رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه "[٢].

وقال الزحيلي:" وصف الله تعالى المسبحين، بأنهم لمراقبتهم أمر الله تعالى، وطلبهم لرضاه، لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء من أمور الدنيا، فهم رجال ليسوا ماديين نفعيين، بل هم قوم ذوو همة عالية، وعزيمة صادقة، لا تشغلهم تجارة، ولا بيع عن ذكر الله وتقديسه، بل يذكرون الله تعالى، ويقيمون الصلاة جماعة في المساجد، ويؤتون الزكاة، يخافون عقاب يوم القيامة، الذي تضطرب فيه القلوب والأبصار، من شدة الفزع والهول "[٣].

والمتطوع متصف بالرجولة عالي الهمة متطلع لمعالي الأمور التي يحبها الله تعالى.

وفي اتصاف المتطوع بالرجولة نشر الفضيلة ودحض الرّذيلة، وصيانة الأعراض وحفظ الأموال، كما تثمر الثّبات على الحقّ، وتورث الحبّ وتثمر الصّدق، وتمنح ثقة الآخرين واطمئنانهم له[٤].

ومما يؤسف عليه أن يظن البعض أن الرجولة مال وثروة وجاه وشهرة، ومنصب أو وظيفة، أو بناء أجسام، أو أزياء أو موضات[٥]، وما هي إلا مظاهر زائلة ينخدع بها من لا يعرف الرجولة على حقيقتها، مما يحتم ضرورة تصحيح هذا المفهوم الخطأ.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢٠٤٢/٥)

(٢) تفسير السعدي (٥٦٩)

(٣) التفسير الوسيط (١٧٥٤/٢، ١٧٥٥)

(٤) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢٠٦٠/٥)

(٥) موسوعة التفسير الموضوعي (٥٩/١٦)

المطلب الخامس: الفطرة:

الفطرة باعث على الإحسان إلى الخلق وتفريج كروب المكروبين وإغاثة الملهوفين، ولذا فهي باعث لموسى عليه السلام على الإحسان إلى المرأتين.

قال الزمخشري مشيرا إلى هذا الباعث:" رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوّة قلبه وقوّة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة "(١).

والفطرة: صفة يتَّصف بها المخلوق أول خلقه؛ صفة الإنسان الطبيعيّة(٢)، وهي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها: على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين، لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه(٣).

فالنفس في أصل خلقتها مستقيمة على الفطرة التي فطرها الله عليها كما قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)﴾ [الشمس: ٧]. قال ابن كثير:" أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة "(٤).

والله تعالى " أثبت في الفطرة حسن العدل والإنصاف، والصدق، والبر، والإحسان، والوفاء بالعهد ، والنصيحة للخلق، ورحمة المسكين، ونصر المظلوم، ومواساة أهل الحاجة والفاقة، وأداء الامانات، ومقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بالعفو والصفح، والصبر في مواطن الصبر، والبذل في مواطن البذل، والانتقام في موضع الانتقام، والحلم في موضع الحلم، والسكينة والوقار، والرأفة والرفق والتؤدة، وحسن الأخلاق وجميل المعاشرة مع الأقارب والأباعد، وستر

(١) الكشاف (٤٠١/٣)، وينظر: السراج المنير (٩١/٣)
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١٧٢٢/٣)
(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للسعدي (٥١)
(٤) تفسير ابن كثير (٤١١/٨)

العورات وإقالة العثرات، والإيثار عند الحاجات، وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات، والتعاون على أنواع الخير والبر... إلى غير ذلك من معرفة العقل الذي وضعه بينهم في المعاملات والمناكحات والجنايات، وما أودع في فطرهم من حسن شكره وعبادته وحده لا شريك له، وأن نعمه عليهم توجب بذل قدرتهم وطاقتهم في شكره والتقرب إليه وإيثاره على ما سواه، وأثبت في الفطر علمها بقبيح أضداد ذلك، ثم بعث رسله في الأمر بما أثبت في الفطر حسنه وكماله، والنهي عما أثبت فيها قبحه وعيبه وذمه، فطابقت الشريعة المنزلة للفطرة المكملة مطابقة التفصيل بجملته، وقامت وشواهد دينه في الفطرة تنادي للإيمان "[1].

مما سبق يتبين أن المتطوع تبعثه فطرته إلى مد يد العون إلى كل من يستطيع إعانته، وإلى بذل المعروف والإحسان إلى غيره، وأما من انحرفت فطرته فلا ينتظر منه ذلك.

المطلب السادس: الاقتداء بالصالحين:

من أهم بواعث العمل التطوعي أن يكون للمتطوع قدوة صالحة، يبعثه على بذل المعروف ومد يد العون لمن يحتاج إليه.

ويذكر الزمخشري أن موسى عليه السلام كان من بواعثه إلى السقيا للمرأتين الاقتداء بالصالحين، فيقول:" وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوّة قلبه وقوّة ساعده...على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصه، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم "[2].

إن دور القدوة مهم في حياة الأفراد والجماعات، وما أصيبت دعوة أو فكرة

(١) مفتاح دار السعادة (٢٨٢،٢٨١/١)

(٢) الكشاف (٤٠١/٣)

أو مذهب بافتقاد القدوة إلا فقدت تأثيرها، وما قدم صاحب دعوة الدليل العملي على صحة دعواه إلا بالسلوك والقدوة، وحينئذ يقتنع الناس وتصبح واقعا سلوكيا في حياة الناس، وما أصيبت مجتمعاتنا الإسلامية في أخلاقها إلا حين افتقدت القدوة الصالحة، فنحن في أمس الحاجة إلى القدوة الصالحة، ويوم أن توجد تلك القدوة نستطيع أن نمتلك الفعالية، وننتج الحضارة، ويكون لنا مكاننا العالمي عطاء وإبداعا، إن القدوة السلوكية أمر لازم لتنمية القيم وصبغها بالفعالية لتكون موجها حقيقيا، وما امتازت التربية الإسلامية عبر عهودها التي عاشتها إلا بتلك القدوة، ويوم أن فقدت القدوة فقدت فعاليتها في حياة الناس، ولذا فإن واجب التربية الإسلامية توفير هذه القدوة حتى تعاود التأثير والإبداع، ولها في هدي رسول الله ﷺ زاد كبير ومدد تستمد منه في إعداد المربين القدوة، وكذا الآباء والأمهات وسائر المجتمع الإسلامي الذي هو في أمس الحاجة إلى القيم الإسلامية مجسدة في أفراده(١).

والذي ينبغي أن يعنى به المتطوع في أي عمل تطوعي الاطلاع على سير الصالحين ومواقفهم، سواء كانوا من السابقين أو المعاصرين، حيث سيجد فيها صورا من البذل والإحسان وحب الخير للغير، مما يبعث في نفسه حماسة لا تنقطع إلى مواصلة التطوع والخدمة المجتمعية.

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/١٤٩)

المبحث الثالث: خطوات التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين:

المطلب الأول: إيجاد الحالة:

الخطوة الأولى في التطوع الفردي متوقفة على إيجاد حالة تحتاج من المتطوع أن يقف معها ويمد إليها يده بالإعانة، ويمكن أن يتحقق ذلك بدون تكلف وإنما بأدنى ملاحظة، وخاصة إذا كانت الحالة ظاهرة الحاجة أو شديدة الضعف، وفي أحيان أخرى لا تكون الأمور ظاهرة بل تحتاج أن يكون المتطوع شديد الملاحظة قوي الحس ليدرك ويجد من هو بحاجة لأن يتطوع في خدمته.

وليست العبرة بكون الحالة ظاهرة أو خفية بل بتقدير الأشد حاجة؛ لأنه وجد في حالات كثيرة من المتعففين أو مجهولي الحال من هو في أمس الحاجة ولم يفطن لهم ويتنبه لحالهم، وهذا يستدعي من المتطوع جهدا مضاعفا للوصول إليهم.

وهذه الخطوة جاء النص عليها في سقيا موسى عليه السلام للمرأتين، وذلك أنه لما وصل إلى الماء وجد جماعة من الناس يسقون لأنعامهم، ثم وجد امرأتين منعزلتين عنهم لا تشاركان معهم، بل إنهما تمنعان أغنامهما أن تختلط مع أغنام الرعاة الآخرين.

قال الواحدي:" تحبسان غنمهما. هذا قول أكثر المفسرين "[1].

وقال ابن كثير:" أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا "[2].

وقال ابن عاشور:" والمعنى: ووجد امرأتين في جهة مبتعدة عن جهة الساقين "[3].

---

(١) التفسير البسيط (٣٦٨/١٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٢٢٦/٦)

(٣) التحرير والتنوير (٩٩/٢٠)

لقد ظهر لموسى عليه السلام ما تعانيه المرأتان إذ تبين له ذلك من حالهما، فهما امرأتان والرعي يقوم به الرجال، والرعاة يسقون أغنامهم بينما تقفان بعيدا عنهم مانعتين أغنامها من الماء.

وهكذا ينبغي أن يكون المتطوع في تقديره لمن يحتاج أن يبادره بخدمته.

المطلب الثاني: التحقق:

بعد إيجاد الحالة التي سيبذل لها المتطوع عونه، وسيخصص لها من وقتها ما يقضي به حاجتها لا بد من التحقق من أنها فعلا تستحق الإعانة؛ ذلك انه وجد في مواقف مختلفة من يتظاهر ويزيف الحقيقة ويدعي أنه في حال تطلب من يتطوع لخدمته، وغاية هؤلاء من استغلال عاطفة الناس– في الغالب – الحصول على مكاسب عينية أو مالية.

إنه لا بد أن يكون المتطوع نبيها حتى لا يقع ضحية لاحتيال المحتالين ويمكن أن يستفيد ممن سبقه في مجال التطوع. ولهذا من الكلمات السائرة عند العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره(١).

كما أن التحقق يوصله للطريقة الأصح في خدمة من يحتاج إلى تطوعه، وأحيانا عند التزاحم وتعدد الحالات يقدم الأشد حاجة، كالحالات الإسعافية ونحوها.

وهذه الخطوة عمل بها موسى عليه السلام حين سأل المرأتين حتى يقرر كيف يعينهما. قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص:٢٣].

وفي سؤاله عن الخطب اهتمام بشأنهما وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتطوع سؤال مهتم، حتى يحظى بالإجابة الشافية؛ لأن المسؤول متى ما وجد

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٠٦/٨)

اهتماما من السائل سينطلق في إجابته والكشف التام عن حاله.

قال الماوردي:"﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾: أي ما شأنكما ، وفي الخطب تضخيم الشيء ومنه الخطبة لأنها من الأمر المعظم "(١).

وقال ابن عطية:" وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر "(٢).

ولقد تبين لموسى عليه السلام أحقيتهما بالإعانة بعد أن عرف حالهما معرفة تامة.

قال الرازي:" قال الرازي:" فقالتا: ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾. وذلك يدل على ضعفهما عن السقي من وجوه: أحدها: أن العادة في السقي للرجال، والنساء يضعفن عن ذلك وثانيها: ما ظهر من ذودهما الماشية على طريق التأخير وثالثها: قولهما حتى يصدر الرعاء ورابعها: انتظارهما لما يبقى من القوم من الماء وخامسها: قولهما: وأبونا شيخ كبير ودلالة ذلك على أنه لو كان قويا حضر ولو حضر لم يتأخر السقي ".(٣)

المطلب الثالث: المبادرة:

بعد أن يتحقق المتطوع من الحالة ويتبين له أحقيتها تأتي الخطوة الثالثة وهي المبادرة إلى التطوع، وتقديم الخدمة والإعانة دون تأخر، ذلك أن المتطوع يغتنم فرص الخير حتى لا تفوته.

وقد بادر موسى عليه السلام بالسقي للمرأتين بعد أن أجابتا على سؤاله.

قال ابن عاشور:" واقتران فعل ﴿ سَقَىٰ ﴾ بالفاء يؤذن بأنه بادر فسقى لهن،

(١) النكت والعيون (٢٤٦/٤)

(٢) المحرر الوجيز (٢٨٣/٤)

(٣) التفسير الكبير (٥٨٨،٥٨٩/٢٤)

وذلك بفور وروده "[١].

وقال الزمخشري:" وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمّة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة ... على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصه "[٢].

وقال الخطيب الشربيني:" ﴿ فَسَقَى ﴾ أي: موسى عليه السلام ﴿ لَهُمَا ﴾والمفعول محذوف أي: غنمهما لما علم ضرورتهما انتهازاً لفرصة الأجر وكرم الخلق في مساعدة الضعيف مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم ولكنه رحمهما وأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة "[٣].

إن المتطوع في مبادرته مستجيب لأمر الله بالاستباق إلى الخيرات، والمسارعة والمسابقة إلى مغفرته وجنته، حيث يقول تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾ [البقرة:١٤٨]. ويقول تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران:١٣٣]. ويقول ﷻ: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد:٢١].

قال أبو حيان:" المسارعة في الخير ناشئة عن فرط الرغبة فيه، لأن من

(١) التحرير والتنوير (١٠١/٢٠)
(٢) الكشاف (٤٠١/٣)
(٣) السراج المنير (٩١/٣)

رغب في أمر بادر إليه وإلى القيام به، وآثر الفور على التراخي "[1].

وفي المبادرة إلى فعل الخير والسبق إليه مرضاة للرب ﷻ ومغضبة للشيطان، وترفع صاحبها إلى جنات عدن حيث النعيم المقيم والفضل العظيم، والسبق إلى الخيرات يجعل صاحبه من المفلحين في الدنيا والآخرة، والمبادرة إلى العمل الصالح توجد نوعا من التنافس الحميد الذي يرقى بالمجتمع، والسابق إلى الخيرات يغبطه أصحابه ويتمنون أن يصيروا مثله ويمتدحونه بهذا السبق، والمبادرة بالأعمال الصالحة تجعل صاحبها في مأمن من الفتن أو الأمور التي قد تشغل الإنسان وتلهيه مثل المرض أو الفقر أو الغنى المطغي أو الهرم[2].

كما أن في مبادرة المتطوع إلى فعل الخير قطعا للتسويف والتأخير الذي يفوت عليه الأجر.

المطلب الرابع: التولي:

بعد إنجاز المتطوع لعمله التطوعي يكون قد انتهى من أداء مهمته، وينبغي أن يحرص على أن يكون عمله متقنا، لينال رضا الله تعالى الذي هو مقصده وغايته، فلا ينتظر ثناء ولا شكرا ولا مكافأة، بأي صورة كانت، بل ينصرف سريعا معرضا عمن بادره بعمله التطوعي؛ حتى لا يشعره بشيء من الحرج.

وموسى عليه السلام لما انتهى من السقيا للمرأتين لم يرجع إليهما. بل كما قال تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾.

قال مكي بن أبي طالب:" أي فسقى لهما موسى قبل الوقت الذي تسقيان فيه ثم تولى إلى الظل، وهو الموضع الذي لم يكن عليه شمس "[3].

---

(١) البحر المحيط (٣/٣١١)

(٢) نضرة النعيم (٨/٣٣٩٩)

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥٥١٣)

وإنهاء موسى عليه السلام عمله قبل الوقت المعتاد نجاح في المهمة وإتقان في العمل، وهكذا ينبغي أن يكون المتطوع.

قال البقاعي:" أي انصرف موسى – عليه الصلاة والسلام – جاعلاً ظهره يلي ما كان يليه وجهه ﴿ إِلَى الظِّلِّ ﴾ أي ليقيل تحته ويستريح، مقبلاً على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق "(١).

لقد اهتز وجدان موسى عليه السلام، وتحركت عوامل الرحمة في قلبه، فتطوع لمساعدتهما وسقى غنمهما لأجلهما، ثم ركن إلى مكان ظليل ليستريح من الجهد الذي بذله(٢)، وفي توليه عنهما ما يشعر أنه لا يريد أن يطلعا على ما لحقه من الجهد، وأنه لا ينتظر منهما أجر ما عمله لهما.

قال ابن هبيرة:" فحينئذ رأى موسى ﷺ أنه قد يغتن عليه إردافهما بأن تصدق عليهما بفضل قوته: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ ثم انصرف عنهما إلى الظل– كما قال الله ﷻ.

ففي ذلك ما يدل على أنه سقى لهما بغير أجر ولا شرط، وأنه بقدر ما كفا فيما كانتا محتاجتين إليه من سقي الغنم تولى عنهما ولم يمكث ولا أدنى مكث فيتعرض بوقوفه إلى طلب ثواب لذلك السقي، ولو بأن يسقياه شيئًا من لبن شياههما، ثم أخبر ﷻ أن فعل ذلك على شدة جوع منه وفقر إلى ما ينزل الله إليه من خير، فلم يستفزه جوعه ولا خدشت ضرورته وجه مروءته، بل تولى إلى الظل "(٣).

وفي قول موسى عليه السلام بعد أن تولى إلى الظل: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ما يؤكد تعلق المتطوع بربه وصدق التجائه إليه، وافتقاره إلى فضله ورزقه، ليستغني بذلك عمن سواه.

---

(١) نظم الدرر (٢٦٦/١٤)

(٢) التفسير الوسيط مجمع البحوث (١٧٥٧/٧)

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (١٧١/٣)

المبحث الرابع: آثار التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين:

المطلب الأول: الجزاء:

المتطوع مبتغ بعمله وجه الله تعالى، ولذلك لا يتطلع إلى جزاء أو مكافأة، ولكن في بعض الأحوال قد يحصل له شيء من ذلك، ولا بأس في حصوله عليه، كما وقع لموسى عليه السلام.

يقول السعدي:" العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض "(١).

وقد جاء في بعض كتب التفسير أن المرأتين حين رجعتا إلى أبيهما قبل الوقت المعتاد لرجوعهما وقد سقت أغنامهما أنكر ذلك، فسألهما فأجابتاه بما فعل موسى عليه السلام فبعث إحداهما في طلبه.

قال ابن كثير:" لما رجعت المرأتان سراعا بالغنم إلى أبيهما، أنكر حالهما ومجيئهما سريعا، فسألهما عن خبرهما، فقصتا عليه ما فعل موسى، عليه السلام. فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾"(٢).

وحين جاءت إحدى المرأتين موسى عليه السلام ذكرت له أنا أباها يدعوه ليجزيه اجر السقيا لهما، ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾.

قال السمعاني:" أي: ليطعمك ويثيبك أجر ما سقيت لنا أي: عوض ما سقيت لنا "(٣).

---

(١) تفسير السعدي (٦١٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٢٢٨/٦)، وينظر: تفسير الثعلبي (٢٢٤/٧)، تفسير البغوي (٢٠١/٦)، الكشاف (٤٠٢/٣)، التفسير الكبير (٥٩٠/٢٤)، البحر المحيط (٢٩٨/٨)

(٣) تفسير السمعاني (١٣٣/٤)

وقال البيضاوي:" ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ ﴾ ليكافئك. ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ سقيك لنا، ولعل موسى – عليه الصلاة والسلام – إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الأجر "[١].

وفيه أن المكافأة على الإحسان لم تزل دأب الأمم السابقين[٢].

وفيه أنها أسندت الدعوة إلى أبيها وعلَّلَتْها بالجزاء؛ لئلَّا يُوهِم كلامُها ريبة، وفيه من الدَّلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى[٣]، وفيه من كمال الذكاء؛ لأن نسبة الدعوة إلى أبيها أقرب إلى إجابة موسى للدَّعوة؛ حيث يكون الدَّاعي له رجلا[٤]، وأيضًا فإنما بيَّنت له الغرض من دعوته؛ مُبادرةً بالإكرامِ[٥].

وفي جزاء صاحب المعروف المتطوع به خير على المجتمع بأسره حيث يؤدي ذلك إلى استقرار هذا المجتمع وتآلف أفراده وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم الذي يلقى الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان أن يهش إذا نسب إليه الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثا على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى؛ لأن من يشكر الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر المولى الذي أجرى الخير علي أيديهم[٦]، وقد جاء في الحديث: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[٧].

---

(١) تفسير البيضاوي (١٧٥/٤)

(٢) ينظر: تفسير السعدي (٦١٨)

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/٧)

(٤) ينظر: تفسير ابن عثيمين – سورة القصص (١٠١)

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٠٣/٢٠)

(٦) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٩٨/٢)

(٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ح (٤٨١١) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٢)

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ:(من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه)[1].

وهذا حث منه ﷺ وترغيب بمكافأة صانعي المعروف، وهو الأسوة والقدوة في ذلك، فقد كان له في حياته الكثير من المواقف التي كافأ فيها المعروف وشكر صاحبه.

والمعتبر في المكافأة أن تكون بقدر الطاقة والوسع، لا مشقة فيها ولا كلفة.

المطلب الثاني: الثناء الحسن:

بعد أن جاءت إحدى المرأتين إلى موسى عليه السلام تدعوه إلى أبيها، ذهب معها وأخبر أباها بقصته وبما جرى له وسبب خروجه من مصر، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

قال الطبري:" وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ يقول: فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقصّ عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط، قال له أبوها: ﴿ لا تَخَفْ ﴾ فقد ﴿ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني: من فرعون وقومه، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أنت بها "[2].

وقال الثعلبي:" ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾أخبره بأمره والسبب الذي أخرجه من أرضه. ﴿قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني فرعون وقومه لا سلطان له بأرضنا "[3].

ثم إن إحدى المرأتين طلبت من أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام لرعي الغنم

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب الزكاة، من سأل بالله ﷻ ح (٢٥٦٧) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢١٧)

(٢) جامع البيان (٢٢٠/١٨)

(٣) تفسير الثعلبي (٢٤٥/٧)

مثنية عليه بالقوة والأمانة، ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

وروي أن أباها لما قالت له ذلك دخلته الغيرة فقال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فأنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ولا يكشفها دون عشرة ، وأما أمانته فإنه خلفني خلف ظهره حين مشى(١).

ولا دليل على ما ذُكر، والأظهر – والله أعلم – أنها رأت ما يدل على قوته وأمانته.

يقول السعدي:" وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى "(٢).

وفي تقديم القوة على الأمانة دليل على أنها أهم من الأمانة؛ لأنه كم من إنسان أمين ولا يخشى منه الخيانة أبداً، لكنه ضعيف لا ينتج ولا يثمر، وكم من إنسان قوي في أداء عمله لكنه ضعيف في أمانته، فالثاني أحسن لإقامة العمل، ولهذا تجد كثيراً من الناس الذين لديهم قوة وحزم وتصرف، تجدهم ينتجون من الأعمال أكثر بكثير من قوم ضعفاء، وعندهم أمانة(٣).

وفي ثنائها على موسى عليه السلام بهذين الوصفين القوة والأمانة، رفع من شأنه وبيان لفضله وأحقيته بالعمل، وقد أثنت عليه بأهم وصفين يوصف بهما من يتولى الأعمال.

قال ابن عثيمين:" وهذان الوصفان هما رُكنان في كل عمل، فكل عمل

---

(١) النكت والعيون (٢٤٨/٤)، وينظر: تفسير البغوي (٢٠٤/٦)، تفسير البيضاوي (١٧٥/٤)، التسهيل (١١٢/٢)

(٢) تفسير السعدي (٦١٤)

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢٥٩/١٥)

لابدَّ له من هذين، لا يكون إلا بهما، وهما القُوَّة والأمانة، فبالقُوَّة يكون الفعل، وبالأمانة يكون تمام الفعل، فغير القوي لا يفعل، وغير الأمين لا يُتَمِّمُ الفعل، وقد لا يفعله أصلًا، ولذلك إذا كان الإنسان قويًّا أمينًا حصل بِه تماما الفعل، في غير المستأجر، يعني: في الإجارة إننا نطلب القوي الأمين فِي جميع الأعمال، لو وكَّلنا شخصًا على بيع فخير من نُوَكِّل ﴿ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

إذا أردنا أَن نُؤمِّر شخصًا على قرية، فخير من نُؤَمِّرُ القوي الأمين، وإذَا أردنا أَن نُولِّيَ شخصًا على قضاء بلد فخير من نُوَلِّي على القضاء القوي الأمين، ولهذا قال الجنِّي لسليمان عليه السلام: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) ﴾ [النمل:٣٩]. "[١].

وفي الثناء على المتطوع بعمل الخير وذكر أهم صفاته، تقدير له ولعمله، وإبراز لمكانته في المجتمع، ودعوة للاقتداء به، وترغيب له في مواصلة عمل الخير وبذل الإحسان والمعروف لغيره.

المطلب الثالث: التعاقد على العمل:

لما أشارت إحدى المرأتين على أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام للرعي لما يمتاز به من القوة ولأمانة، عرض على موسى عليه السلام أن يستأجره للرعي. ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

قال الواحدي:" فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه. فـ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ **أي: أزوجكها**، ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ على أن تكون أجيرا لي ثماني سنين "[٢].

(١) تفسير ابن عثيمين – سورة القصص (١٠٦)

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣٩٦/٣)

وقال ابن كثير:" وقوله: ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ أي: على أن ترعى علي ثماني سنين، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمان كفاية، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: لا أشاقك، ولا أؤاذيك، ولا أماريك "(١).

ثم إن موسى عليه السلام حين تلقى هذا العرض قَبِلَه، وتحقق له الأمان من الخوف ورزقه الله عملا بعد أن كان خائفا جائعا.

يقول السعدي:" فـ﴿ قَالَ ﴾ موسى عليه السلام –مجيبا له فيما طلبه منه–: ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه "(٢).

ويلاحظ هنا أن العمل الذي تم التعاقد عليه هو نفس العمل الذي تطوع به موسى عليه السلام، كما يلاحظ أيضا أن والد المرأتين رغَّب موسى عليه السلام بالعمل، ذلك أنه وعده بعمل لا مشقة فيه، وأنه سيحسن المعاملة معه.

وهكذا ينبغي أن يكون التعامل مع المتطوع حيث يُقَدَّم على غيره في عقود العمل؛ وذلك أنه أبلى بلاء حسنا في تطوعه وعُرف بالتجربة إتقانه لعمله، وفي التعاقد معه وفاء له وشكر لصنيعه، كما يكون التعاقد معه على عمل مماثل لما تطوع به أو من جنسه، ويكون العمل سهلا لا مشقة فيه، ويلقى من صاحب العمل صلاح المعاملة وحسن الخلق.

(١) تفسير ابن كثير (٦/٢٣٠٩

(٢) تفسير السعدي (٦١٤)

الخـاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام ها البحث وههنا أهم النتائج والتوصيات:

أولا: ينصرف الذهن إلى التطوع الاجتماعي عند إطلاق مصطلح التطوع بنوعيه الفردي والجماعي، ويمكن أن يُعرف التطوع الفردي بأنه: جهد مالي أو جسدي أو فكري يبذله شخص اختيارًا أي بكامل إرادته، بهدف جلب المصالح للغير أو درء المفاسد عنه، دون انتظار أي مقابل مادي أو معنوي كمقابل لجهوده المبذولة، ولكن ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ويُعْرف التطوع الفردي بالتطوع التلقائي؛ لأنه غالبا ما يكون فردي الأداء عفوي التوجه، تلقائيا – أي: وليد ساعته.

ثانيا: يمكن أن يقال إن المناسبة ظاهرة بين الآيات في قصة سقيا موسى عليه السلام للمرأتين مع ما قبلها حيث إنه لما دعا ربه أن يهديه وسط الطريق إلى مدين استجاب الله دعاءه فوصل إلى مدين، وكان أول ذلك أنه وجد جماعة من الناس من أهل مدين يستقون الماء.

ثالثا: بواعث التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين: الاحتساب وابتغاء الأجر من الله تعالى، والرحمة، والمروءة، والرجولة، والفطرة، والاقتداء بالصالحين.

رابعا: خطوات التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين أربع: الأولى: إيجاد الحالة. الثانية: التحقق. الثالثة: المبادرة. الرابعة: التولي.

خامسا: آثار التطوع الفردي من خلال سقيا موسى عليه السلام للمرأتين: الجزاء، والثناء الحسن، والتعاقد على العمل.

كما أوصي بدراسة بواعث التطوع وآثاره في القرآن الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإفصاح عن معاني الصحاح – المؤلف: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الشيبانيّ – المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد – دار الوطن – سنة النشر: ١٤١٧هـ.
- البحر المحيط في التفسير–المؤلف: محمد بن يوسف ابن حيان – المحقق: صدقي محمد جميل –دار الفكر – بيروت – ط/ ١٤٢٠هـ.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط/ الرابعة– ١٤٢٣هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس– ١٩٨٤هـ.
- التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية – د. عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح – مجلة دراسات تربوية واجتماعية – جامعة حلوان – المجلد الثاني عشر– العدد الثالث– ٢٠٠٦م.
- التسهيل لعلوم التنزيل– محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي– المحقق: د. عبد الله الخالدي– شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت–ط/ الأولى – ١٤١٦هـ.
- التعريفات – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني– المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر– دار الكتب العلمية بيروت –لبنان – ط/ الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – المحقق: سامي بن محمد سلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع – ط/ الثانية – ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- التفسير البسيط- علي بن أحمد الواحدي- عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية-ط/ الأولى- ١٤٣٠هـ.
- تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن- الحسين بن مسعود البغوي- المحقق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط/ الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل- عبد الله بن عمر البيضاوي- المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط/ الأولى – ١٤١٨هـ.
- تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن- أحمد بن محمد الثعلبي- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان-ط/ الأولى- ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)- علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي -تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ الأولى- ١٤١٥ هـ.
- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)- عبد الرحمن بن ناصر السعدي- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة-ط/ الأولى- ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن- منصور بن محمد السمعاني – المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن- الرياض- ط/ الأولى- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الكريم «سورة القصص» – محمد بن صالح العثيمين – مؤسسة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية- المملكة العربية السعودية

– ط/ الأولى– ١٤٣٦هـ.
- التفسير الكبير– أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت–ط/ الثالثة – ١٤٢٠هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر المعاصر – دمشق – ط/ الثانية – ١٤١٨هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)– عبد الله بن أحمد النسفي– المحقق: يوسف علي بديوي– دار الكلم الطيب– بيروت–ط/ الأولى– ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- التفسير الوسيط– د وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر – دمشق – ط/ الأولى – ١٤٢٢هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم– مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر– الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية–الطبعة: الأولى– ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن– محمد بن جرير الطبري–تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د عبد السند حسن يمامة– دار هجر – ط/ الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- جامع الرسائل – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني – المحقق : د. محمد رشاد سالم – دار العطاء – الرياض – ط/ الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي– المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ السابعة– ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- الجامع لأحكام القرآن- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية – القاهرة-ط/ الثانية- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي – المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية – بيروت.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- محمد بن أحمد الخطيب الشربيني- مطبعة بولاق الأميرية- القاهرة- ١٢٨٥هـ.
- سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني – المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية،- صيدا – بيروت.
- السنن الصغرى للنسائي (المجتبى من السنن) – أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ط/ الثانية- ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.
- شرح صحيح البخاري – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – السعودية- الرياض- ط/ الثانية- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع - محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي- ط/ الأولى- ١٤٢٢ – ١٤٢٨هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت – ط/ الرابعة- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي –

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ط/ الأولى– ١٤٢٢هـ.

- صحيح سنن أبي داود – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط/ الأولى– ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- صحيح سنن النسائي – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط/ الأولى– ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني– دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –

ط/ الأولى– ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

- العمل التطوعي من منظور إسلامي – د. مصطفى بوهبوه – مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات – ط/ الأولى –١٤٤٣هـ–٢٠٢٢م.
- العين– الخليل بن أحمد الفراهيدي– المحقق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال.
- الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري – حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع– القاهرة – مصر.
- لسان العرب– محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري – دار صادر – بيروت – ط/ الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري – دار الكتاب العربي – بيروت–ط/ الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- الكليات – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي– المحقق: عدنان

درويش، محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي– المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد– دار الكتب العلمية – بيروت–ط/الأولى – ١٤٢٢هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين– محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية– المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي– دار الكتاب العربي – بيروت– ط/ الثالثة– ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- المروءة – محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى – تحقيق: محمد خير رمضان يوسف – دار ابن حزم– بيروت – لبنان – ط/ الأولى– ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم – د. محمد حسن حسن جبل – مكتبة الآداب – القاهرة – ط/ الأولى، ٢٠١٠ م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل – عالم الكتب– ط/ الأولى– ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة – محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى –المحقق: صفوان عدنان الداودي – دار القلم– الدار الشامية – دمشق – بيروت – ط/ الأولى – ١٤١٢ هـ.
- مقاييس اللغة– أحمد بن فارس القزويني – المحقق: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر–١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – مركز تفسير للدراسات القرآنية – ط/ الأولى – ١٤٤٠هـ–٢٠١٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن

علي البقاعي – دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ – عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله ابن حميد – دار الوسيلة للنشر والتوزيع– جدة– ط/ الرابعة.
- النكت والعيون– علي بن محمد الماوردي –المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري – تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه – مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي – المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي – مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة –ط/ الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد – علي بن أحمد بن محمد الواحدي– تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان –ط/ الأولى– ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.